تستقلبه فى معاملاته فاذا سمع ذكر عتاب او خطاب او قبول او رد او وصل او هجر
او قرب او بعد او تلهف على فائت او تعطش الى منتظر او شوق الى وارد او طمع او ياس
او وحشة او استيناس او وفاء بالوعد او نقض للعهد او خوف فراق او فرح بوصال
او ذكر ملاحظة الحبيب ومدافعة الرقيب او همول العبرات او ترادف الحسرات
او طول الفراق او عدة الوصال او غير ذلك مما يشتمل
على وصفه الاشعار فلا بد ان يوافق بعضها حال المريد فى طلبه فيجرى ذلك مجرى القداح
اللاتى تورى زناد قلبه فيشتعل به نيرانه ويقوى به انبعاث الشوق وهيجانه ويهجم
عليه بسببه احوال مخالفة لعادته ويكون له مجال رحب فى تنزيل الالفاظ
على احواله وليس على المستمع مراعاة مراد الشاعر من كلامه بل لكل كلام
وجوه ولكل ذى فهم فى اقتباس المعنى منه حظ ولنضرب لهذه التنزيلات
والفهوم امثلة كى لا يظن الجاهل ان المستمع لابيات فيها ذكر الفم والخد
والصدغ انما يفهم منها ظواهرها ولا حاجة بنا الى ذكر كيفية فهم المعانى من
الابيات ففى حكايات اهل السماع ما يكشف عن ذلك فقد حكى ان بعضهم
سمع قائلا يقول قال الرسول غدا نزور فقلت تدرى ما يقول فاستفزه القول
واللحن وتواجد وجعل يكرر ذلك وجعل مكان الياء نونا فيقول قال الرسول غدا
نزور حتى غشى عليه من شدة الفرح واللذة والسرور فلما افاق سئل عن وجده مم
كان فقال ذكرت قول الرسول ان اهل الجنة يزورون ربهم فى كل جمعة مرة
وقد حكى الرقى عن ابن الدراج انه قال كنت انا وابن القوطى مارين على دجلة
بين البصرة والابلة واذا بقصر حسن له منظرة وعليه رجل بين يديه جارية
تغنى وتقول ٥ كل يوم تتلون غير هذا بك اجمل ٥ واذا شاب تحت المنظرة
بيده ركوة وعليه مرقعة يستمع فقال يا جارية بالله وبحياة مولاك الا اعدت
على هذا البيت فاعادت وكان الشاب يقول هذا والله تلونى مع الحق فى حالى فشهق شهقة
ومات قال فقلنا قد استقبلنا فرض فوقفنا فقال صاحب القصر للجارية انت حرة لوجه الله
تعالى قال ثم خرج اهل البصرة وصلوا عليه فلما فرغوا من دفنه قال صاحب القصر اشهدكم
ان كل شيء لى فى سبيل الله وكل جوارى احرار وهذا القصر للسبيل قال ثم رمى بثيابه
واتزر بازار وارتدى باخر ومر على وجهه والناس ينظرون اليه حتى غاب عن
اعينهم وهم يبكون فلم يسمع له بعد ذلك خبر والمقصود انه كان مستغرق الوقت بحاله
مع الله ومعرفته وعجزه عن الثبوت على حسن الادب فى المعاملة وتاسفه على تقلب قلبه
وميله عن سنن الحق فلما قرع سمعه ما يوافق حاله سمعه من الله كانه يخاطبه ويقول ٥

له كل يوم

له كل يوم يتلون غير هذا بك اجمل ٥ ومن كان سماعه من الله وعلى الله وفيه فينبغى ان يكون قد ا
حكم قانون العلم فى معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته والا خطر له فى السماع فى حق الله تعالى ما
يستحيل عليه ويكفر به ففى سماع المريد المبتدى خطر الا اذا لم ينزل ما يسمع الا على حاله
من حيث لا يتعلق بوصف الله تعالى ومثال الخطا فيه هذا البيت بعينه ولو سمعه فى نفسه
وهو مخاطب به ربه فيصرف فيضيف التلون الى الله فيكفر وهذا قد يقع عن جهل محض مطلق
غير ممزوج بتحقيق وقد يكون عن جهل ساقه اليه نوع من التحقيق وهو ان يرى تقلب احوال
قلبه بل تقلب سائر احوال العالم من الله تعالى وهو حق فانه تارة يبسط قلبه وتارة يقبضه
وتارة ينوره وتارة يقسيه وتارة يثبته على طاعته ويقويه عليها وتارة يسلط الشيطان
عليه ليصرفه عن سنن الحق وهذا كله من الله تعالى ومن يصدر منه افعال مختلفة فى او
قات متقاربة فقد يقال له فى العادة انه ذو بدوات وانه متلون ولعل الشاعر لم يرد الا نسبة
محبوبه الى التلون فى قبوله ورده وتقريبه وابعاده وهو هذا المعنى وسماع هذا كذلك
فى حق الله تعالى كفر محض بل ينبغى ان يعلم انه سبحانه وتعالى يلون ولا يتلون ويغير
ولا يتغير بخلاف عباده وذلك العلم يحصل للمريد باعتقاد تقليدى ايمانى ويحصل للعارف
البصير بيقين كشفى حقيقى وذلك من عجيب اوصاف الربوبية وهو المغير من غير تغير ولا يتصور
ذلك الا حق الله عز وجل بل كل مغير سواه فلا يغير ما لم يتغير من ارباب الوجد من يغلب
عليه حال مثل السكر المدهش فيطلق لسانه بالعتاب مع الله تعالى ويستنكر اقتهاره
للقلوب وقسمته للاحوال الشريفة على تفاوت فانه المستصفى لقلوب الصديقين
والمبعد لقلوب الجاحدين والمغرورين فلا مانع لما اعطى ولا معطى لما منع ولم
يقطع التوفيق عن الكفار لجناية متقدمة ولا امد الانبياء بتوفيقه ونور هدايته
بوسيلة سابقة ولكنه قال تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين
وقال ولكن حق القول منى لاملئن جهنم من الجنة والناس اجمعين وقال ان
الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون فان خطر ببالك انه لم
اختلفت السابقة وهم فى ربقة العبودية مشتركون نودية من سرادقات الجلال
لا تجاوز حد الادب فانه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ولعمرى تادب
اللسان والظاهر مما يقدر عليه الاكثرون فاما تادب السر عن اضمار الاستبعاد
لهذا الاختلاف والظاهر فى التقريب والابعاد والاشقاء والاسعاد مع
بقاء السعادة والشقاوة ابد الاباد فلا يقوى عليه الا العلماء الراسخون فى العلم

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)